المحاضرة الخامسة

المؤتمرات الصهيونية

لقد كرس هرتزل العقد الأخير من عمره داعيا إلى وحدة اليهود وتنظيم حياتهم، لتحقيق مشروع الصهيونية، وبعد أن صاغ أفكاره حول "الدولة اليهودية" أنشأ عام ١٨٩٧ مجلة أسبوعية أسماها "العالم" أصبحت الصحيفة الناطقة الرسمية باسم الحركة الصهيونية، وشرع في عقد المؤتمرات كان أوله المؤتمر الصهيوني الذي عقد في مدينة بازل(أو بال) بسويسرا عام ١٨٩٧ ما بين ٢٩-٣١ أغسطس، ويعد هذا المؤتمر حجر الأساس للحركة الصهيونية الحديثة، وحضره ٢٠٤ مندوبا من مختلف الهيئات والمنظمات والجمعيات الصهيونية في العالم، وانتخب هرتزل رئيسا للمؤتمر، بالإضافة إلى انتخاب المجلس الرئاسي للمؤتمر، وأمناء السر، وأعضاء لجنة العمل التي اتخذت مدينة فيينا مقرا لها.

ووضع البرنامج الصهيوني المعروف "ببرنامج بازل" **وأقيمت المنظمة الصهيونية العالمية** لتنفيذ البرنامج المقترح، وكان من أهم قرارات المؤتمر هو أن هدف الصهيونية إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام، وبذلك وضع ميثاق الحركة الصهيونية وارتبط المؤتمر الأول عموما بالاضطهاد الذي أصاب يهود روسيا، وكان هرتزل قد بدأه بخطابه قائلا:" إننا اجتمعنا هنا لكي نضع حجر الأساس للمأوى الذي سينضم إليه الشعب اليهودي، وأن العالم كانت معلوماته دائما غير صحيحة عن الشعب اليهودي، وأن الشعور بوجوب اتحادنا ذلك الشعور الذي دفعنا إليه سائر البشر في مراحل عدة وبحرارة، كان في طريقه إلى التحلل حينما قامت في وجهنا أسلحة الاضطهاد العنصري تطاردنا، وقد بث فينا هذا الاضطهاد القوة من جديد، إن الصهيونية هي عودة اليهود إلى حظيرة الفكرة اليهودية المحضة حتى قبل أن يحققوا عودتهم إلى أرض المعاد...، ونحن الصهيونيين نعمل على إحياء روح الشعب اليهودي وبث الحماس فيه، كي يمد كل يد المساعدة للآخر وعلينا أن ننشئ حالا والآن هيئة منظمة، وهذه الهيئة تصبح دائمة وكان الشعب اليهودي مفتقرا إليها إلى اليوم." ولم يختلف الخطاب الأول عن ما جاء في كتابه الدولة اليهودية، إذ اعتمد على عامل اضطهاد اليهود في المجتمعات الغربية، وشتاتهم ووجوب اجتماعهم لأجل إقامة الوطن القومي.

ولم يمثل هذا المؤتمر كل يهود العالم لأن حركة الإصلاح اليهودية الأمريكية رفضت الاشتراك، كما اعترض عدد كبير من يهود أوروبا الغربية على الفكر الصهيوني ووجدوا فيه مجرد محاولة لسجن اليهود في "جيتو" فلسطيني ولم يشأ يهود روسيا عامة سماع شيء عن الصهيونية، لكن وفي كل هذه الظروف أعطى المنتدبين لأنفسهم حق تمثيل الجميع، وتقرر عقد هذا المؤتمر سنويا.

ولتحقيق حلم الوطن القومي أقرّ المؤتمر الصهيوني بنود برنامج بازل على النحو التالي:

- تطوير أرض فلسطين وتشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناع والحرفين والمهنيين اليهود وفق أسس وظروف ملائمة.
- تنظيم اليهودية العالمية وتجميعها بواسطة منظمات محلية ودولية تتناسب مع

القوانين المتبعة في كل بلد.

- تقوية الشعور القومي اليهودي والهوية القومية اليهودية واتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومات حيث يكون ذلك ضروريا لتحقيق هدف الصهيونية.

وإلى جانب هذه الأمور أقرّ المؤتمر العلم الصهيوني والنشيد القومي، وقال هرتزل إثر انتهاء المؤتمر "اليوم أنشأنا الدولة اليهودية." ، وقام البرنامج العملي للحركة الصهيونية على ثلاثة خطوط رئيسية: التنظيم والاستعمار أو الاستيطان، والدبلوماسية أو المفاوضات ولن نجد عبارة لتقيم دور هذا المؤتمر في تاريخ الصهيونية أفضل من التي صاغها رئيسه هرتزل إذ صرح في أعقاب مؤتمر بازل في مذكراته: "لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة وهذا ما لن أفعله صراحة لقلت: في بازل أسست الدولة الصهيونية، ولو أعلنت اليوم ذلك لقابلني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس."

وتأسست هيئات لشراء الأراضي وإقامة مستعمرات وتهجير اليهود من مختلف دول العالم نحو فلسطين وأقرّ المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨) تشكيل لجنة الاستعمار وإنشاء "المصرف الاستعماري اليهودي" ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية و "للشركة اليهودية" المنشودة، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في إنجلترا، لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها سائرة في تبنيها الكامل للحركة الصهيونية.

وسارت الصهيونية بعد ذلك وإلى غاية تأسيس كيانها بشكل منظم في عقد المؤتمرات الصهيونية العالمية لمناقشة قضايا ومسائل اليهود واهتماماتهم، وإنشاء الأجهزة معتبرة المؤتمر الصهيوني على قدر كبير من الأهمية، فهو السلطة العليا في المنظمة، اجتمع أعضاؤه سنويا مدة من الزمن ثم أصبح يجتمع كل سنتين، في أي مدينة أوروبية، وأرسل دافعوا الشيكل، مندوبيهم إلى المؤتمر، وكل مجموعة من ١٠٠ عضو كان لها الحق في إرسال عضو واحد، وأما مهام المؤتمر فكانت تدور حول إقرار السياسة العامة للمنظمة، والموافقة على الميزانية العامة بالإضافة إلى انتخاب رئيس المنظمة، وأعضاء اللجنة التنفيذية والمجلس العام.

وبخصوص المؤتمر الثاني فقد عضد سابقه وارتبط بالعداء الفرنسي لليهود، وانعقد عام ١٨٩٨ في بازل ما بين ٢٨-٣١ آب، بلغ عدد أعضائه ٤٠٠ أي ضعف عدد المشتركين في المؤتمر الأول وركز اهتماماته على كيفية إدخال الفكرة الصهيونية في أوساط الجاليات اليهودية في مختلف أنحاء العالم، والإعلان عن إقامة صندوق استيطان كما سبقت الإشارة وهو عبارة عن الجهاز المالي للمنظمة الصهيونية العالمية، ولكن وإلى غاية هذا المؤتمر كان هرتزل لم يتمكن من حشد أثرياء اليهود الغربيين على وجه الخصوص، إذ فضّلوا عدم الالتزام وبشدة وعلى رأسهم روتشيلد، مما تحتم على هرتزل أن يسعى طيلة بقية حياته لإقامة العلاقات والبحث عن دعم هؤلاء الأثرياء من أمثال "السير فرانسيس مونتيفيور من إنجلترا،

والبارون دي هيرش النمساوي، وماكس واربورغ المصرفي المعروف في هامبوروغ، وإدوارد نوتزلين الرئيس الفخري لمصرف باريس وهولندا.

لقد انقسمت الآراء تجاه الصهيونية ويمكن الإشارة إليها كما يلي:

- المعارضون الاندماجيون: وهم الذين خرجوا من الجيتو واندمجوا في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها وخاصة في أوروبا الغربية وأمريكا ورأوا في الصهيونية إحياء للكراهية والحقد على اليهود.

- المعارضون الدينيون: وهم الذين كانوا على قدر كبير من التدين والمحافظة على التقاليد اليهودية والثقافة العبرية، ورأوا في المذابح والاضطهاد إشارة من المسيح المخلص، الذي سيجمعهم ويعود بهم إلى فلسطين، ويحكم العالم من هناك، وكان معظم هؤلاء من يهود أوروبا الشرقية وخاصة روسيا وبولونيا ورومانيا.

- الحياديون: وهم الذين لم يهتموا لأمر الصهيونية وهم على قسمين:

* غلاة العلمانية وهم من اليهود الذين لا يعترفون بالقيود والتقاليد اليهودية وإلى حد بعيد اندمجوا بالشعوب الأخرى.

* اليهود الشرقيون خاصة الوطن العربي وإيران وتركيا فإقبالهم على الصهيونية كان محدودا.

- المؤيدون: وهم المؤمنون بها وبأفكارها تبنوا أهدافها ودعموها.

الصهيونية وبذكاء قادتها تمكنت عموما مع الوقت من تجاوز المعارضة، وحتى قبل وفاة هرتزل انطلقت دعوته في إقناع المتشددين بفكرة المسيح المنتظر بأن ما تفعله الصهيونية ما هو إلا تطبيق لما يقوم به المسيح، وأن عملهم ليس مخالفة له وإنما تطمينا له بأن شعبه جدير بحكمه، فقد سار في مشروع البناء وانتظر قدومه لإكماله، كما تمكنت الصهيونية عن طريق إرسال البعثات من التأثير على اليهود الشرقيين وكسبهم إلى جانبها فازداد أعداد الصهاينة وتكاثرت عبر مختلف البلدان.